المحاضرة الثاني عشر: منهج دراسة الحالة

تمهيد: دراسة الحالة هي منهج بحثي يتعمق في تحليل حالة واحدة أو مجموعة حالات محددة، بهدف فهم ظاهرة أو مشكلة معينة بشكل تفصيلي. يتيح هذا المنهج للباحثين استكشاف العوامل المتعددة التي تؤثر على الحالة، وكيف تتفاعل هذه العوامل مع بعضها البعض.

أولا: طبيعة دراسة الحالة

دراسة الحالة هي استقصاء أمبريقي معمق حول ظاهرة معاصرة في سياقها الطبيعي و"الحالة" تكون فرداً أو مجموعة من الأفراد أو حدثاً أو قراراً أو مؤسسة أو سياسة عامة أو غيرها من الأنظمة التي يتم دراستها بشكل شامل وبطريقة واحدة أو أكثر وفيها يتم جمع بيانات متنوعة من مصادر متعددة (سير ذاتية. أرشيف، وثائق، سجلات، خطابات، مقابلات، مشاهدات، مجموعات تركيز، استبيانات وغيرها).

وبحسب ستيوارت تعود جذور دراسة الحالة في العلوم الاجتماعية إلى مدرسة شيكاغو للعلوم الاجتماعية. حيث تم تنفيذ دراسة ميدانية أنثروبولوجية على المجتمع المعاصر في محيط الجامعة، ويتم تطبيق هذه المنهجية في العلوم الاجتماعية. مثل:علم النفس وعلم الاجتماع و الأنثروبولوجيا والاقتصاد، وفى مجالات أخرى مثل الدراسات البيئية والعمل الاجتماعي والتربية. وينظر إلى دراسة الحالة على أنها منهجية بحث وسطية تقوم بردم الهوة الإبستيمولوجية القائمة بين المدرسة الطبيعية والوضعية، كونها تركز على تثليث البيانات الكمية والنوعية. وذلك لإنشاء سلسلة مترابطة من البيانات.

وعلى الرغم من تعدد التعريفات المختلفة والمتضاربة أحياناً لدراسة الحالة. ما يجعل منها موضوعاً متنازعاً عليه في تقاليد بحوث العلوم الاجتماعية ، فهناك قواسم مشتركة بين هذه التعريفات وهى:

- ينبغي أن تكون لدراسة الحالة قضية هي موضوع الدراسة.
- يجب أن تكون الحالة عبارة عن وحدة وظيفية معقدة يتم استقصاؤها في سياقها الطبيعي بواسطة العديد من طرق جمع البيانات.
- الحالة معاصرة ونظرا لمرونة دراسة الحالة **"جوهانسون"**، فإنه لا يزال في وسع الباحثين اعتماد التصميم الأكثر ملائمة لبحوثهم والذي يقدمه نوع واحد أو أكثر من أنواع دراسة الانتقائية البراغماتية التي تساهم في خدمة تنفيذ غرض البحث.

ثانيا: الخصائص العامة لمنهج دراسة الحالة:

يقوم منهج دراسة الحالة على أساس اختيار حالة معينة يقوم الباحث بدراستها قد تكون وحدة إدارية واجتماعية واحدة (مدرسة، سجن، مكتبة.....الخ) أو فرد واحد (فرد مدمن – مريض- متطوع- تلميذ- أستاذ) أو جماعة واحدة من الأشخاص (عائلة –قسم- جماعة طلابية- قبيلة) وتكون دراسة هذه الحالة بشكل مستفيض يتناول كافة المغيرات المرتبطة بها وتتناولها بالوصف الكامل والتحليل ويمكن أن تستخدم ودراسة الحالة كوسيلة لجمع البيانات

والمعلومات في دراسة وصفية , وكذلك يمكن تعميم نتائجها على الحالات المشابهة بشرط أن تكون الحالة ممثلة للمجتمع الذي يراد الحكم عليه، ومن ثم يمكن التأكد على الأتي:

- أن دراسة الحالة هي إحدى المناهج الوصفية.
- يمكن أن تستخدم دراسة الحالة لاختبار فرضية أو مجموعة فروض.
- عند استخدام للتعميم ينبغي التأكد من أن الحالة ممثلة للمجتمع الذي يراد التعميم عليه.
- من الضروري مراعاة الموضوع و الابتعاد عن الذاتية في اختيار الحالة وجمع المعلومات عنها ثم في عملية التحليل ولتفسير.

ثالثا: الخصائص البحثية لدراسة الحالة : يتميز منهج دراسة الحالة بعدد من المزايا:

- يمكن الباحث من التقديم دراسة شاملة متكاملة ومتعلقة لحالة المطلوب بحثها. حيث يركزها الباحث على الحالة التي يبحثها ولا يشتت جهوده على حالات متعددة.
- يساعد هذا المنهج الباحث على توفير معلومات تفصيلية وشاملة بصورة تفوق منهج المسحي.
- يعمل على توفير كثير من الجهد والوقت.

رابعا: أنواع دراسة الحالة: هناك نوعان أساسيان من دراسة الحالة: دراسة حالة فردية ودراسة الحالات المتعددة، اختيار واحد من هذين النوعين هو مسألة اختيار التصميم، كلاهما مدرج تحت منهجية دراسة الحالة.

1. دراسة الحالة الفردية

يمكن لدراسة حالة فردية أن تركز على وحدة تحليل واحدة، على سبيل المثال فرد واحد أو منظمة أو برنامج للدراسة أو فئة من الطلاب مثل الموهوبين في مدرسة معينة، إذا تم إشراك المزيد من الوحدات في الدراسة، فإنها تصبح دراسة حالة شاملة، وبحسب ين (2003 ,Yan) فإنه عندما لا تكون هناك حالات أخرى متاحة للتكرار أو إجراء مقارنات في ما بينها، يقتصر الباحث على تصميم دراسة حالة فردية. يشير كل من سيجلكو أن دراسات الحالة الفردية توفر بيانات كبيرة لاختبار النظريات، طالما أن الوحدة الواحدة لها سمات فريدة أو سمات ضرورية لتلبية أهداف الدراسة ومعالجة أسئلة البحث الخاصة بها،على سبيل المثال. اختار نيل غروس وآخرون دراسة حالة فردية (مدرسة واحدة) في دراستهم حول معوقات تنفيذ الابتكارات التنظيمية. تم اختيار المدرسة بسبب تاريخها الراسخ في الابتكار وصعوبة الادعاء بأنها تعاني من عوائق تحول دون الابتكار. وقد بينت الأدبيات و النظريات الموجودة قائمة من الحواجز التي اعتبرت عوامل أساسية تعيق الابتكار. فشلت المدرسة في الابتكار. ولكن ليس بسبب أي عوائق أو حواجز كما تقول أدبيات الموضوع. ولكن إلى عمليات التنفيذ التي أهملتها الأدبيات، وبهذه الطريقة. كانت الدراسة على الرغم من كونها مقتصرة على دراسة حالة فردية، تمثل تحديا للنظريات الحالية للابتكار والتي تفسر حصريا الحواجز وليس التنفيذ، منذ نشر الدراسة، سيطر موضوع دراسة تنفيذ الابتكار على الأدبيات

وعموماً، ساهمت الدراسة في بناء النظرية في مجال الابتكار و أعادت تركيز اتجاه الدراسات في هذا المجال.

2. **دراسة الحالات المتعددة:** على عكس دراسة الحالة الفردية. تحاول دراسة الحالات المتعددة فهم الاختلافات واستكشاف أوجه التشابه بين الحالات حسب باكستر، ووفقا لما ذكره يان Yan فإن اختيار دراسة الحالات المتعددة يقع في احتمالين:

- **التكرار الحرفي** الذي تتشابه فيه الحالات المختارة وتبنى على أساس افتراض الحصول على نتائج متشابهة.
- **التكرار النظري** الذي يتم فيه اختيار الحالات بناء على افتراض أنها ستؤدى إلى نتائج مختلفة. بعبارة أخرى. يمكن استخدام دراسة الحالات المتعددة لإظهار إما نتائج متناقضة للأسباب المتوقعة أو نتائج مماثلة، وبالتالي يعتبر استخدام هذا النوع من الدراسات مشابها لتكرار اختبار ما، وهذا يعني أنه ينبغي مقارنة الاستنتاجات المستمدة من حالة فردية ومقارنتها بالنتائج المتولدة من حالة أو حالات أخرى، وعندما تتم مقارنة دراسة الحالات مع بعضها بعضا. يمكن للباحث أيضاً تقديم الأدبيات بمساهمات نظرية من التناقضات والتشابهات.

خامسا: مساوئ دراسة الحالة

- قد لا تؤدي دراسة الحالة إلى تعميمات صحيحة إذا ما كانت غير ممثلة للمجتمع كله أو للحالات الأخرى بأكملها.
- إن إدخال عنصر الذاتية أو الحكم الشخصي في اختيار الحالة أو جمع البيانات عنها وتحليلها قد لا يقود إلى نتائج صحيحة.
- ولكن مع وجود هذه السلبيات إلا أن الباحث لو أمكنه تجاوزها فإنه يحقق لبحثه الكثير من الإيجابيات كذلك فإن هذه الإيجابيات تزداد لو أنه أخذ في الاعتبار المتغيرات المحيط بالحالة التي يدرسها والإطار الذي تحيى فيه.
- و جديد بالذكر أن دراسة الحالة ثم اللجوء إليها في العديد من الدراسات القانونية (معالجة الأحداث) وفي المواضيع التربوية والتعليمية والثقافية والسياسية والصحفية.....الخ.

سادسا: خطوات دراسة الحالة:

- تحديد الحالة أو المشكلة المراد دراستها.
- جمع البيانات الأولية الضرورة لفهم الحالة أو المشكلة وتكوين فكرة واضحة عنها.
- صياغة الفضية أو الفرضيات التي تعطي التفسيرات المنطقية والمحتملة لمشكلة البحث.
- جمع المعلومات وتحليلها وتفسيرها والوصول إلى نتائج.

سابعا: أدوات جمع المعلومات

1. الملاحظة المتعلقة حيث الباحث إلى تواجد وبقاء مع الحالة المدروسة لفترة كافية, ومن ثم يقوم الباحث بتسجيل ملاحظات بشكل منظم أول بأول.
2. المقابلة حيث يحتاج الباحث إلى الحصول على معلومات بشكل مباشر من الحالات المبحوثة وذلك بمقابلة الشخص أو الأشخاص الذين يمثلون الحالة وجها لوجه ووجيه الاستفسارات لهم والحصول على الإجابات المطلوبة وتسجيل الانطباعات الضرورية التي يتطلبها الباحث.
3. الوثائق والسجلات المكتوبة التي قد تعين الباحث من تسليط الضوء على الحالة المبحوثة.
4. قد يلجأ الباحث إلى استخدام الاستبيان وطلب الإجابة على بعض الاستفسارات الواردة به من جانب الأشخاص والفئات المحيطة بالحالة محل البحث.